أحمد طلعت

الذين يروون نصف الحقيقة !

كثيرا ما اشعر بأننا نظلم الشباب فى العالم العربى عندما نروى له نصف الحقيقة .. لقد تعود ان يسمع جيل الشباب عن الحياة الديموقراطية والحزبية فى مصر قبل ٢٣ يوليو ٥٢ ، وكأنها كانت مجرد بؤرة للفساد والانحلال السياسى .

وانا اعترف بانه كانت هناك من الاسباب ما يكفى لقيام ثورة لتصحيح مسار العمل الوطنى ، ولكننى لا استطيع - انصافا - ان أنكر ادوارا وطنية لعبها الزعماء السياسيون المصريون .. قبل مجىء جمال عبد الناصر ..

من حق شبابنا ان يعلم ، وان يقدر ، الدور البارز الذى لعبه مصطفى كامل ، وهو يهب شبابه للدفاع عن قضية الاستقلال ووحدة وادى النيل ، ومن ورائه الحزب الوطنى .

ومن حق شبابنا ان يباهى وان يفاخر بكفاح سعد زغلول ضد الاستعمار البريطانى ، فى وقت كانت فيه غضبة الامبراطورية البريطانية تهز الدنيا ، فضلا عن صلفها وغطرستها بما حققته من نصر فى الحرب العالمية الاولى .

ومن حق شبابنا ان يفاخر بوقفة محمود فهمى النقراشى فى مجلس الامن مطالبا بحق مصر ، وصوته يدوى امام العالم اجمع وهو يقول :

« ان بريطانيا العظمى لازالت تعيش احلام القرن التاسع عشر »

ومن حق شبابنا ان يقدر موقف مصطفى النحاس وهو يطالب البرلمان المصرى بالغاء المعاهدة مع الانجليز - من طرف واحد - بعد أن رفضوا الاستجابة الى المطالب الوطنية .

والذين يروون نصف الحقيقة يقولون ان الاحزاب المصرية لم تكن لها فلسفات اجتماعية ، متجاهلين حقيقة هامة وبسيطة ، هى ان مصر ، وحتى عام ٥٦ ، كانت لاتزال بعض اراضيها تحت الاحتلال البريطانى ..

واننا لنتساءل كيف يمكن لدولة لا تملك حريتها السياسية كاملة ، ان تكون كاملة الحرية فى اختيار فلسفتها الاجتماعية .. ؟ بل ان جمال عبد الناصر نفسه لم يؤمم قناة السويس الا بعد جلاء الانجليز ..

ومع ذلك ، هل ينسى رواة نصف الحقيقة ان قانون تمصير الشركات الاجنبية ، والزامها بان لاتقل اجور المصريين فيها عن اجور الاجانب ، هذا القانون قد اصدرته حكومة النقراشى بينما كانت الراية البريطانية لازالت مرفوعة فوق الثكنات العسكرية البريطانية وسط القاهرة ذاتها ..

وهل ينسى رواة نصف الحقيقة ان قانون الضريبة التصاعدية قد صدر فى مصر عام ١٩٤٨ اى ما يقرب من عشر سنوات قبل الحديث عن الاشتراكية والتحول الاشتراكى .. ؟!

وهل ينسى رواة نصف الحقيقة ان اول اقتراح بقانون لتحديد ملكية الارض الزراعية قد قدمه الى البرلمان المصرى رجل اسمه محمد خطاب - طيب الله ثراه - حول هذا التاريخ .

وعيبنا فى العالم العربى ، أننا نترك انفسنا للعاطفة الجامحة ، والانفعال العفوى ، ونذهب من النقيض الى النقيض .

فاذا أردنا أن نتحدث عن سلبيات وقعت فى مصر من خلال الممارسة الديموقراطية قبل الثورة، قلنا ان الحياة السياسية كانت كلها فسادا وسلبيات ..

واذا انبهرنا بانجازات جمال عبد الناصر فى مديحه حتى رفعناه الى مرتبة القديسين ، وكأنه ليس بشرا يخطىء ويصيب ؟ وعز القائل :

(ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها) ثم اذا أراد البعض - بعد رحيل عبد الناصر - أن يؤرخوا لعهده ، صورة طاغية ارتكبت كل الموبقات تحت سمعه وبصره .. !!

حتى قضية العرب الاولى - فلسطين - ذهبنا بها الى النقيضين فمن القاء اليهود فى البحر ، الى الحدود الامنة والمعترف بها ..!!

هذه مجرد امثلة ، واننا لنتساءل لمصلحة من تروى نصف الحقيقة ، ولمصلحة من تهدر كل القيم ، ونتباهى بالعقوق ونكران الجميل .. ؟

أن الشعوب التى لا تاريخ لها ، ليس لها ايضا حاضر او مستقبل ولا ينتظر اجيالها المعاصرة الا الضياع .

والامة العربية اليوم ليست فى حاجة الى تقليب صفحاتها القديمة بقدر ما هى فى حاجة الى مواجهة واعية لمشاكل الحاضر ، وتحديات المستقبل بضمير وادراك .

وليتق الله اولئك الذين يسيئون الى وطنهم ، غافلين كانوا أم عامدين □□